الماسونية في فرنسا

اطَّلعنا على مقالة مسهبة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قالَ كاتبها ما خلاصتهُ

وُضعت اسس الماسونية في انكلترا سنة ١٧١٧ فلم تتغيَّر تغيرًا يذكر من ذلك الحين وقد اتَّصلت بها العائلة المالكة منذ اكثر من مئة عام وانتظم في سلكها امراء الانكليز وشرفاؤهم. واعضاؤها من اشد الناس ولاء لحكومتهم وليس لهم غرض سياسي من جمعيتهم . والحال على ضدّ ذلك في فرنسا فقد دخلتها الماسونية سنة ١٧٢١ ادخلها اليها الانكليز فتقلَّبت احوالها فيها بتقلُّب السياسة وراوحت بين مطالب العلم ومطالب الدين وغرضها الآن سياسي جمهوري مقاوم للاحزاب الاكليريكيَّة

وللماسون في انكلترا ٢٩٠٠ محفل عدا المقامات الكبرى وهم فيها يُعَدُّون بمئات الالوف . واما ماسون فرنسا فلا يزيدون على ثلاثين الفًا ولا تقابَل ثروة محافلهم بثروة المحافل الانكليزية ولهم مع ذلك شأن في سياسة بلادهم اعظم جدًّا من شأن الماسون الانكليز في سياسة انكلترا

وارتقى شأن الماسونية في فرنسا في عهد نبوليون الاول ثم انحطَّ كثيرًا حتى ان نبوليون الثالث اضطرَّهم الى قبول رئيس اختارهُ لهم . وصار رجال البوليس يدخلون المحافل الماسونية ويرون ما يجري فيها من الرسوم كأنها تحت سيطرتهم. ثم عظم شأن الماسونية في فرنسا منذ عشرين سنة الى الآن وهي اليوم من اعظم دعائم الجمهورية الفرنسوية ولا يستطيع موظف في الحكومة ان يمدَّ اليها يدًا

وتنقسم الماسونية في فرنسا الآن الى اربعة اقسام كبيرة وهي مجمع الرموز الاكبر والشرق الاعظم ومجلس الرموز الاسكتسيَّة الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم . والقسمان الاولان خاصَّان بالماسونية الفرنسوية والاخيران جاريان مجرى الماسونية الانكليزية. وكلُّ فريق منهما بمثابة مجلس النوَّاب ومجلس الشيوخ اي ان الشرق الاعظم ومحفل فرنسا الاعظم بمثابة مجلس النواب. ومجمع الرموز الاكبر ومجلس الرموز الاسكتسي بمثابة مجلس الشيوخ .والشرق الاعظم والمجمع الاكبر قديمان واما المحفل الاكبر فحديث انشئ سنة ١٨٩٤ والفرق بينهُ وبين الشرق الاعظم انهُ يبيح لاعضائهِ الاعتراف بوجود الخالق في محافلهم واما الشرق الاعظم فلا يذكر فيهِ اسم الخالق وكلاهما محروم من كنيسة رومية مثل غيرهما من المحافل الماسونية في كل المسكونة

والشرق الاعظم على جانب عظيم من الغنى والنفوذ .لهُ دار فسيحة في قلب باريس وعندهُ

اموال طائلة معدَّة للدفاع عن الماسونية تقدَّر بملايين الفرنكات. واما المحفل الاكبر ففقير بالنسبة اليهِ والمحافل التابعة للاول ٤٠٠ فيها ٢٢٠٠٠ عضو والمحافل التابعة للثاني ١١٠ فيها ٥٠٠٠ عضو

قلنا ان نبوليون الثالث شدَّد المراقبة على الماسونية وممَّا فعلهُ انهُ امر بتعيين المرشال مكماهون رئيساً للشرق الاعظم ولم يكن منتظماً في الماسونية فانتظم في سلكها حالاً واخذ درجاتها الثلاث في اسبوع من الزمان وكان غرض نبوليون ان يقاوم بهِ الماسونية اما هو فرغب فيها وصار من اعظم انصارها وحمل نبوليون على اعادة حقوق الشرق الاعظم اليهِ واهتمَّ باموره المالية حتى وضعها على اسس وطيدة

وقد اخذ الشرق الاعظم في ابطال الرموز الماسونية حتى لم يبقَ منها شيء وصارت المحافل مثل الاندية العلمية والادبية يجتمع فيها العلماء والفلاسفة ورجال السياسة لكنها لا تدقق التدقيق الكافي في انتخاب اعضائها. ولم يبقَ شيء من اسرارها مكتوماً الاَّ كلمة السر التي يمتاز بها الماسوني عن الاجنبي اذا اراد دخول محفل غير محفلهِ وهذه تتغير كل مدة

ومن الامور الجديدة في الماسونية الفرنسوية انتظام النساء في المحافل مع رجالهم او اولادهم. لكن الشرق الاعظم والمحفل الاعظم لم يوافقا على ذلك حتى الآن ولا منعاهُ بل حسبا انهُ يستحق الامتحان ولا يبعد ان يوافقا عليهِ وتزيد قوة الماسونية وفائدتها بانتظام النساء فيها مع رجالهم

وقد اتخذت المحافل الماسونية تبحث في كثير من المسائل العمومية كأنها اندية علمية ففي لائحة المواضيع التي عُرضت للبحث في ٦ دسمبر الماضي وفي ١٣ منهُ ما يأتي "سبب قلة السكان في فرنسا". "نسبة الماسونية الى الاحزاب السياسية". "واجبات اصحاب المعامل نحو عالمهم". "أتستطيع الماسونية ان تمنع الحروب الاوربية". "العلاقة بين ارتقاء الوطنية وبين حقوق الانسان". واختار بعض محافل باريس جماعة من العلماء لتلاوة الخطب في المواضيع الفلسفية والطبيعية كعلم الدين. والمادة والحركة. وتولُّد العوالم. واصل الحياة. ويهتمُّ رئيس المحفل الاعظم الآن بتقليل نفقات الدعاوى على المتداعين وفي انشاء شركة لضمانة الحياة تكون اقل نفقات من غيرها ونحو ذلك من الاعمال التي تعود بالنفع على جمهور الماسون

وقد اثَّرت الجرائد الفرنسوية في نفوس الماسون في فرنسا بما تنشرهُ من نسبة كل الفضائل الى البوير في هذه الحرب وكل الرذائل الى الانكليز وهم لا يطالعون غير جرائد بلادهم فحُملوا على لوم الانكليز مثل غيرهم من ابناء وطنهم وتظهر خلاصة آرائهم في ما اقرَّ عليهِ احد محافلهم وهو "من حيث ان الحرب اشد بليَّة تحمَّلها نوع الانسان ولا يزال يتحملها متألماً منها. ومن حيث انها تثير ادنى اخلاق الانسان تحت رداء الشرف والشجاعة ومحبة الوطن ونحو ذلك من

الاخلاق الكريمة. ومن حيث انهُ يحق لكل الناس ان يعيشوا احراراً اينما كانوا . ومن حيث ان حرية الامم والافراد لا حدَّ لها الاَّ عند حرية الغير . ومن حيث ان حرية الانكليز والبوير تدلُّ الدلائل على انها ستدوم الى ان تنقرض امَّة احترمت حريَّة غيرها ولم تهدِّد حرية الانكليز لا في اوربا ولا في املاكهم الخارجة عن اوربا . ومن حيث ان الماسونية اخوية عامَّة لا تقدر ان تحصر اميالها الانسانية في امة واحدة او شعب واحد . ومن حيث ان الماسون اكثر عدداً في انكلترا تمَّام في اية بلاد أُخرى . فهذا المحفل يتوسل الى الماسون الانكليز بحق الانسانية ولمصلحة انكلترا العظمى ان يبذلوا اقصى جهدهم في اقناع حكومتهم بابطال هذه الحرب التي اقفر بها جنوب افريقية والتي ستكون لطخة سوداء على مجد الامَّة العظيمة التي كانت مهد الحرية وبيت مقرها الوحيد في اوربا سنين كثيرة "

ثم لما شاع ان وفيات اولاد البوير كثرت في الملاجىء الانكليزية اعترض المحفل الاعظم على ذلك وبعث الى محفل سويسرا ليرفع اعتراضهُ الى المحافل الانكليزية فاجابها ملك الانكليز " ان البوير الذين في الملاجىء غير مقيدين بالبقاء فيها ولهم الحرية المطلقة ليذهبوا اين شاؤوا وقد اضطرَّ الانكليز اضطراراً ان يقيموا هذه الملاجىء لنساء البوير واولادهم لما رأوا ان رجالهم تركوهم لا طعام ولا مأوى " . فلما نُشر هذا الجواب كفَّت الجرائد الفرنسوية عن الانتقاد والتقريع

الاَّ ان الهمَّ الاكبر لماسون فرنسا سياسة بلادهم والفوارق الدينية لا تفرق بينهم فينتظم في سلكهم الكاثوليكي والبروتستانتي واليهودي والمعطَّل على حدٍّ سوى بشرط ان يكون جمهوريًّا واما اذا كان ملكيًّا فلا يقبلونهُ بينهم مهما كان مذهبهُ كان محافلهم اقسام من مجلس النواب من حزب الوسط وحزب الشمال بعضهم جمهوري معتدل وبعضهم جمهوري متطرِّف وبعضهم اشتراكي وكلهم خصم للبرنس فكتور نبوليون ولدوق اورليان . ولا يقبلون طالبًا ما لم يثبت لهم انهُ جمهوري ويحسبون انهم والملكيون على طرفي نقيض ويقيمون دليلاً على فساد الحكم الملكي والامبراطوري ما فعلهُ نبوليون الثالث من سَوْق فرنسا الى ميدان الحرب الفرنسوية الالمانية لمطامعهِ الشخصيَّة . اما الجمهورية فلا تستطيع ان تسوق امَّة الى حرب ما لم يكن اكثر نوَّاب الامَّة راضين بذلك فالماسونية الفرنسوية من الوسائط الفعالة لحفظ السلام في اوربا

وتُتَّهم الماسونية الفرنسوية بانها معادية للدين وهذه التهمة باطلة والحقيقة انها تقاوم الكنيسة الرومانية في انتصارها للملكيَّة لا غير ولكنها لا تقاوم البروتستانت ولا اليهود ولا غيرهم من اصحاب المذاهب الاخرى لانهم لا ينتصرون للملكيَّة . ورئيسها الحالي كان قسًّا في الكنيسة

المصلحة من كنائس البروتستانت . ثم ان البروتستانت الذين فيها على شدَّة تمسكهم بديانتهم لا يمتنعون عن الاجتماع مع المعطلين واللاادريين وذلك دليل قاطع على ان محافل الماسونية في فرنسا صارت مجتمعات سياسية تبحث في المسائل السياسية والاجتماعية لا غير وهمُّها الاكبر الاحتفاظ بالحكومة الجمهورية ولا تتعرَّض للمسائل الدينية مطلقاً

ماذا تود ان تكون

اقترح محرر مجلَّة لندن على بعض المشاهير اقتراحاً غريباً في بابهِ سأل كلاًّ منهم ماذا تودُّ ان تكون لو لم تكن كما انت . فوردت عليهِ الاجوبة التالية

اجاب السر هنري ارفنغ وهو اشهر الممثلين الآن في البلاد الانكليزية وللتمثيل مقام رفيع عندهم حتى لم يأنف من ذكرهِ اولاً . " اني اود ان اكون محرر مجلَّة لندن واكون مثلهُ قادراً على ابتكار المواضيع الجديدة لتسلية الناس وازالة السآمة من نفوسهم "

وقد عقَّب المحرّر على هذا الجواب قائلاً انهُ اذا حرر السر هنري ارفنغ هذه المجلَّة فاقت مجلات العصر ولكنهُ لو علم مقدار المتاعب والمشاق التي شيَّبت رأس المحرر وغضَّت جبينهُ لعدل عن هذه الامنيَّة

واجابت مس ايرين فانبرو وهي من الممثلات ايضاً "انني اود ان لا اكون شيئاً "

واجاب المستر لويس وولر وهو من كبار الممثلين " اني اود ان اكون من اصحاب الملايين "

واجاب المستر مسل رالي منشىء الروايات التمثيليَّة " اود ان اكون رئيس اساقفة كنتربري او مساعداً لمحرر مجلَّة لندن " . وعقَّب المحرر على ذلك قائلاً اما منصب رئيس اساقفة كنتربري فيستحق ان تطمح اليهِ الانظار ويعصب لهُ الريق والمستر رالي يقوم باعبائهِ حتماً واما اذا استبدلَ حرفتهُ بالحرفة الثانية فلا بدَّ لهُ من ان يندم

واجاب المستر كلنت سكوت منتقد الروايات والتمثيل "اود ان اكون فلاَّحاً امتلك ابعدية لاني مغرم بحب الطبيعة والهواء النقي واحبُّ ان اعبد الله في الفضاء يا لها من عيشة راضية بين الطيور اذ يستريح المرء حينما تستريح الطبيعة . اني اعتقد بتقمص الارواح وارجو ان اصير من خدَمة الدين حينما اولد ثانية بعد الوف وملايين من السنين "

واجاب المستر برناند محرر جريدة بنش المزلية الانتقادية قائلاً " لا اعلم حقيقةً ماذا اودُّ ان اكون ومع ذلك اود ان اكون واحداً من اصحاب الملايين أيّاً كان "